النشـــــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٥٢ / ١٩٩٩
الأحد ٢٦ كانون الأول
الأحد بعد الميلاد
عيد جامع لوالدة الإله
تذكار القديسين يوسف الخطيب
وداود النبي و يعقوب أخي الرب
اللحن الخامس
إنجيل السَحَر الثامن

الـرسـالـة (غلاطية ١: ١١-١٩)
الإنـجـيـل (متى ٢ : ١٣ - ٢٣)

+ تذكار جامع لوالدة الإله

لقد رتب آباء الكنيسة أن تقيم في اليوم التالي لعيد ميلاد الرب بالجسد، تذكاراً جامعاً لوالدة الإله الفائقة القداسة «نجتمع فيه باحتفال لتمجيد والدة الإله فيكمل بِدَيْنٍ خاص يتوجب علينا إذ ولدت لنا ابن الله وكلمته ولادة تفوق الطبيعة. فصارت بذلك واسطة لخلاص البشر».

لقد جرت العادة أن يُقام في اليوم التالي لبعض الأعياد المهمة تذكار للشخص الذي ساهم مباشرة في العيد. فنقيم تذكاراً جامعاً للقديس يوحنا المعمدان ثاني أيام عيد الغطاس، وتذكار الملاك جبرائيل بعد عيد البشارة ونحتفل للقديسين

يواكيم وحنة بعد عيد ميلاد العذراء، إلخ... وهكذا يأتي التذكار الجامع لوالدة الإله في اليوم الذي يلي عيد الميلاد نظراً لأهمية دور العذراء مريم في عملية الخلاص وتجسد الرب يسوع. هذا العيد الجامع للعذراء وبسبب المصادر التاريخية من أقدم الأعياد المختصة بها، وقد يكون ملازماً لعيد الميلاد منذ أوائل القرن الرابع. في حين أن الأعياد الأخرى للعذراء لم تنشأ إلا لاحقاً: البشارة عام ٦٩٢، ميلاد السيدة (القرن الخامس والسادس)، دخول السيدة إلى الهيكل (أواسط القرن السادس). لم يوجد طقوس ليتورجية مختصة بالعذراء في القرون الثلاثة الأولى. وأول دليل على هكذا طقوس أتى من العربية (شرقي فلطسين) في القرن الرابع، حيث نقرأ عن عيد سنوي تقدم فيه النسوة كعكة خاصة (Collyrides) للأم العذراء. تَذَكُّر العذراء في الميلاد أمر لائق وطبيعي، نظراً لارتباط العيد بها، ومن الطبيعي أن نُعيِّد لها ثاني أيام عيد الميلاد.

الاحتفال بالعذراء هو جزء والاحتفال بالميلاد والصلوات التي ترنم في هذا اليوم تمتدح العذراء بسبب الخلاص الحاصل بميلاد الرب: «هلموا لنبتهج بالرب مذيعين السر الحاضر. فإله قد زال سياج الحائط المتوسط، والحربة اللهيبية تنقلب راجعة، والشاروبيم تبيح عود الحياة. أما أنا فأعود إلى التمتع بنعيم الفردوس الذي نفيت منه قبلاً بسبب المعصية. لأن صورة الآب وشخص أزليته، المستحيل أن يكون متغيراً، قد اتخذ صورة عبدٍ آتياً من أم لم تعرف زواجاً، خلواً من استحالة. حيث لبث كما كان، إلهاً حقيقياً. واتخذ ما لم يكن، إذ صار إنساناً لأجل محبته للبشر. فلنهتف نحوه صارخين: يا من ولد من البتول ارحمنا» (من صلاة الغروب). كل الصلوات والمحبة التي نقدمها للعذراء متجذرة في الاحتفال بميلاد المسيح. في صلوات عيد الميلاد وترانيمه نجد المعنى المسيحي العميق لتعبير والدة الإله، ولعلاقتنا بها، ونفهم شخصها وموقعها في حياتنا الدينية.

من المواضيع التي تبرز في صلوات عيد الميلاد، هي خبرة الكنيسة لوالدة الإله على انها تقدمة (هدية) العالم لله، تقدمة البشرية للآتي إلى العالم: «ماذا نقدم لك أيها المسيح، ظهرت على الأرض كإنسان لأجلنا, فكل فرد من المخلوقات التي أبدعتها يقدم لك شكراً. فالملائكة التسبيح، والتسموات الكوكب، والمجوس الهدايا، والرعاة التعب والأرض والمغارة، والقفر المذود. **وأما نحن فأماً بتولاً**. فيا أيها الإله الذي قبل الدهور ارحمنا» (غروب عيد الميلاد). لقد كان العالم يتوق لمجيء المسيح، وفي خطوة عملية يهيء الطريق لهذا المجيء فيقدم العذراء لله ليتجسد

عبرهما ابنه الوحيد. إن البشر والملائكة والسموات في انسجام تام، وكلٌّ منهم يقدم شيئاً. ونحن البشر ليس لنا سوى العذراء نقدمها له. فقد قالت «نعم» للملاك جبرائيل نيابة عن كل البشر وقبلت أن يحل في أحشائها ابن الله ويتخذ منها جسداً، لكي يصير مثلنا ويرفعنا إلى الآب، ويعيدنا إلى الملكوت المفقود من جديد. لقد أعادت مريم الوحدة بين الله والبشر. عبرها ابن الله صار ابن الإنسان، مثلنا ليجعلنا واحداً معه، وعبره واحداً مع الله.

في الميلاد عرفنا مريم أماً وشفيعة، وبدأنا تكريمها بالصلوات والأعياد والأيقونات. من قلب ليلة الميلاد تبرز صورة الأم والطفل ملتحفة بالنور. هنا اتحد ثانية ما كان قد تمزق بالخطيئة والعداوة والتكبر: اتحدت السماء والأرض، الله والإنسان، المادة والروح. في هذه الصورة الأم والطفل اتحد من جديد حب الله الأزلي للعالم وحب العالم لله، واكتمل هذا الحب وانتصر. ولن يستطيع أحد نزع هذه الصورة من ذاكرة البشرية وضميرها.

في هذا اليوم نردد الصلوات وكأننا ما زلنا في عيد الميلاد، ولكن الميلاد ما هو إلا مرحلة تهيئة للصليب الذي به الخلاص: «اليوم الطبيعة غير المنظورة تتحد مع البشر من البتول. اليوم الجهر غير المحصور يُدرج في الأقمطة في بيت لحم. اليوم الإله يقتاد المجوس بواسطة الكوكب إلى السجود. فيسبق مشيراً عن دفنه ذي الثلاثة أيام، وذلك بتقدمة التذهب واللبان والمر. لذلك نرتل هاتفين: أيها المسيح الإله يا من تجسد من البتول خلص نفوسنا» (صلاة السحر).

+ الأحد بعد الميلاد

في الأحد الذي يلي عيد الميلاد نقرأ في الكنيسة المقطع الإنجيلي من بشارة الرسول متى (٢: ١٣-٢٣) الذي يتحدث عن انصراف المجوس إلى بلادهم وسخرهم بهيرودس الملك، وظهور الملاك ليوسف والهرب إلى مصر، ثم قتل هيرودس لأطفال بيت لحم، وموت هيرودس وعودة يسوع إلى الجليل وسكنه الناصرة. وكنا قد قرأنا يوم العيد الجزء الأول من الإصحاح الثاني (آية ١-١٢) من إنجيل متى الذي يتحدث عن مجيء المجوس من الشرق ولد يسوع واستفسارهم «أين هو المولود ملك اليهود»، وخوف هيرودس وإرساله المجوس لكي يعرفوا مكانه، لكي يأتي هو و... «يقتله».

إذا قرأنا هذا الإصحاح من إنجيل متى بكامله لا بد أن نلاحـــظ موقفيـــن مهمين: موقف اليهود ويمثلهم هيرودس الرافض ليسوع، وموقـــف الأمـــم ويمثلـــهم المجوس القابلين ليسوع. أبناء الله وأبناء شـعبه يرفضونـــه، والغربـــاء والوثنيـــون يقبلونه. هيرودس يريد قتله والمجوس يسجدون له ويقدمون الهدايا. وكأننا بالإنجيلي متى يضع الخطوط الأساسية لإنجيله مـــن الآن، مـــن بدايـــة إنجيلـــه. الأقربـــون يرفضونه ويصلبونه، والغرباء يقبلونه ويعترفون به انه ابـــن الله. الفريســـيون، أي المتدينيون اليهود، قالوا عن يسوع «رئيس الشـــياطين يُخـــرج الشـــياطين» (متـــى ٣٤:٩) عندما قام بالعجائب، بينما قائد المئة، الروماني الوثني، طلب مـــن يســـوع أن يشفي غلامه وقال «لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفي» (٨:٨)، شفى يســـوع الغلام وقال «الحق أقول لكم لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا» (١٠:٨). هكذا قال يسوع أيضاً للمرأة الكنعانية التي من نواحـــي صـــور وصيـــدا والتـــي صرخت له «ارحمني يا سيد يا ابن داود، ابنتـــي مجنونـــة جـــداً» (٢٢:١٥)... «أجاب يسوع وقال لها يا امرأة عظيم إيمانك. ليكن لك كما تريديـــن» (٢٨:١٥). الفريسيون ورؤساء الكهنة حكموا عليه بالصلب والموت لأنه قال انه «ابـــن الله» (متى ٢٦: ٥٧-٦٨)، أما قائد المئة الروماني لمّا رأى الزلزلة بعدما أسلم يســـوع الروح قال «حقاً كان هذا ابن الله» (متى ٥٤:٢٧).

إنها صورة الكثير منا، أي الذي نسمي أنفسنا مسحيين. كلنا اعتمدنا وقبلنـــا يسوع رباً ومخلصاً، ولكن كم واحد منا يقتل يسوع كل يوم بأفعاله وأقواله كمـــا فعل هيرودس ورؤساء الكهنة. نفرح بميلاد المسيح ولكننا نقتله وهو فـــي المـــهد بتصرفاتنا وكرهنا وتكبرنا نرفضه ابناً لله. نحيك المؤامرات كما فعـــل هـــيرودس على إخوتنا لنبقى نحن «الملوك» ولا يهم كم إنسان نجرح، «نقتل» (بحسب كـــلام يسوع)، المهم أن نصل إلى مآربنا. كلنا نفتخر اننا مسيحيون، ونحن أفضل بنـــي البشر، وفي الممارسة نكون أبشع الناس، ويصير الذين هم من الخارج أجمل منـــا وأفضل منا، «إن الزواني سوف يسبقونكم إلى الملكوت» (   ).

إذا كان لا بد من افتخار فليفتخر الإنسان بالرب، كما يقول الرسول بولس: «من افتخر فليفتخر بالرب» (١ كو ١: ٣١). المهم بالنسبة للرســـول بولـــس ألا «يتعطل صليب المسيح» (١ كو ١٧:١). المهم أن يحمل الإنسان صليبـــه ويتبـــع المسيح، ومن يتبع المسيح سوف يدفع الثمن غالياً. أطفال بيت لحم هم صورة كل واحد منا مؤمن بيسوع، ويدفع ثمن التزامه بالرب. هم ماتوا لأجل يسوع، ونحـــن

بانتظار القرار الصعب. قد لا نمات جسدياً إنما نُهشم ونُضطهد ونُظلم، لا يَـــهم، «افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم في السموات. فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذيـــن قبلكم» (متى ٥:١٢).

صورة هيرودس الملك والحاكم الطاغية، الخائف على مركزه، حتـــى مـــن طفل صغير، هي صورة كل منا وصورة كل سلطة علـــى الأرض. لقـــد خـــاف هيرودس من طفل لا يستطيع الكلام لأن بعض الناس أسموه «ملكـــاً» واســـتدعي المجوس **سراً**، والذي يجري في السر مقرون دوماً بـــالمؤامرات والخـــروج عـــن القانون واللاعدالة، وغالباً ما يدفع الأبرياء الثمن كما حصل مع أطفال بيت لحم.

في إنجيل اليوم نرى الصراع بين الخير والشر. لدينا الملائكة والمجـــوس من جهة ينشدون: المجد لله في الأعـــالي وعلـــى الأرض الســـلام وفـــي النـــاس المسرة»، ومن جهة أخرى الشرير، بشخص هيرودس يفتك ويقتل ويدمر ويحـــاول إبعادك عن «ابن الله الملك». لقد مرت ألفي سنة على تجســـد الـــرب والصـــراع مستمر وسيبقى مستمر والمهم أن «الذي يصمد إلى المنتهى فذلك يخلص».

+ روما والقسطنطينية

في مناسبة عيد القديس إندراوس، مؤسي البطريركية المســـكونية، زار فـــي الحادي والثلاثين من تشرين الثاني ١٩٩٩ وفد من الكنيســـة الكاثوليكيـــة برئاســـة الكاردينال إدوارد كاسيدي، رئيس المجلـــس الحـــبري للدعـــوة للوحـــدة المســـيحية، البطريركية المسكونية في اسطنبول، وسلَّم قداسته البطريرك المســـكوني برثلمـــاوس الأول رسالة من قداسة البابا يوحنا بولس الثاني هذا نصها:

«نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح» (أفسس ١:٢).

إن عيدي القديس إندراوس، الذي تحتفل به البطريركية المسكونية، والقديسين بطرس وبولس في روما، هما مناسبتين لنجتمع أخوياً معاً في حوارٍ وصـــلاة. إن المحبة المتبادلة واللقاءات الدورية والتسبيح الذي نقدمه لله، هي طرق عديدة تساهم في الوحدة بين كنيستينا، وتسمح لنا للشهادة للشركة في مخلصنا الواحد، المسيح.

إن اشتراكنا المتبادل في أعياد شفعاء كنائسنا، الرســـل القديســـين، مصـــدر فرح، هذا الفرح الذي نحس به عندما نرغب بإتمام إرادة الرب.

إن الوفد الذي أرسله هذا العام إلى قداســـتكم وإلـــى كنيســـة القســـطنطينية الشقيقة يرأسه الكاردينا إدوار كاسيدي، رئيس المجلس الحـــبري للدعـــوة للوحـــدة

المسيحية، ويرافقه سيادة الأسقف والتر كاسبر، أسقف روتنبرغ شتوتغارت الفخوي، سكرتير المجلس الحبري. وقد أوكلت إليهما مهمة نقل تمنياتي الحارة لكم وللمجمع المقدس المجتمع حولكم، ولكل الإكليروس والمؤمنين في البطريركية المسكونية. ليكن سلام الرب معكم جميعاً.

فيما نحن على عتبة نهاية قرن وبروز ألفية مسيحية جديدة في الأفق، تصبح رغبتنا في التقدم على طريق الحوار والعلاقات الأخوية حاجة ملحة للوصول إلى الشركة الكاملة. إنها رغبة جامحة لشفاء (التئام) الجراح المؤلمة التي «تناقض إرادة المسيح وتسبب عثرة للعالم» (الرسالة البابوية Tertio Millennio Adveniente). لكن هذه الرغبة تحزن عندما أفكر في ما كان يجب فعله لجعل وجه المسيح الحقيقي أكثر إشعاعاً، وجعل وجه كنيسته يشع بنور أبهى في عيون العالم، والتي بنعمة الروح سوف تحصل على نعمة الشركة الكاملة بيننا.

اعتقد انه «من بين الخطايا التي تتطلب التزاماً أكبر للتوبة والتغيير، تلك التي كانت مصيرية للوحدة التي يريدها الله وشعبه». لقد ذكرت في رسالتي المبادرات المسكونية العديدة التي حصلت بتصميم كامل، وشددت على الجهد الكبير المطلوب لمتابعة الحوار العقائدي والحث على الالتزام بالصلاة المسكونية. اني أعهد بأمنياتي هذه للرسل إندراوس وبطرس وبولس، هذه الأماني التي تبقى هدفاً أساسياً لمستقبل الكنيسة في الألفية الجديدة. كما اني أرغب مرة ثانية أن أؤكد لكم ان الكنيسة الكاثوليكية جاهزة لأن تقدم ما بوسعها لتجاوز العقبات، ودعم الحوار والتعاون مع كل مبادرة تهدف إلى مساعدتنا للتقدم نحو الشركة الكاملة في الإيمان والشهادة.

بوحي هذه المشاعر وانطلاقاً من أهمية الاشتراك المتبادل لكنائسنا في حياة كنائسنا، أشكر قداستكم على إرسال متروبوليت فرنسا إرميا، إلى مجمع الأساقفة الخاص بأوروبا، وإرسال متروبوليت سويسرا، دمسكينوس، إلى اجتماع الأديان المشتركة. لقد كان حضورهم مصدر فرح لنا ونموذجاً للمشاركة التي يجب أن يسعى إليها تلاميذ المسيح. وأنا مسرور جداً لرغبتكم بإرسال مندوب عن قداستكم في الثامن عشر من كانون الثاني المقبل لحضور افتتاح كنيسة القديس بولس خارج الأسوار ولافتتاح الاحتفالات التي سوف تُعلن «الذي هو النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان» (يوحنا ١:٩). عبر إرسالكم ممثلاً إلى اللجنة المسكونية ليوبيل العام ألفين، أظهرتم يا صاحب القداسة دعمكم، وبالتالي عبَّرتم عن نية

الشركة في احتفالات اليوبيل. أود أن اشكركم أيضاً لحضوركم وتعاونكم. إن قلبي مليء بالفرح على عتبة الألفية جديدة لأننا أعطينا نعمة لنعلن معاً للأجيال الجديدة أن يسوع المسيح هو مخلص العالم. أبادل قداستكم قبلة السلام وأؤكد لكم محبتي الأخوية.

+ تأمل

العلامة التي يتعرّف بها الرعاة إلى المخلّص هي انهم يجدون "طفلاً مقمّطاً، مضجعاً في مذود". ما من علامة قوة ترافق ميلاد يسوع المسيح، بل بعكس ذلك، سيشتهر الإله المتأنس، منذ البداية، بفقره، وتواضعه، وضعفه. فهو، كطفل صغير، ملفوف بالقمط، تحت رحمة الذين يحيطون به؛ إنه خاضع لهم، لا يستطيع مقاومة أحد، أو ممارسة مشيئته، أو الدفاع عن نفسه، هكذا يبدو في ميلاده؛ وهكذا سيبدو في آلامه؛ وهكذا يريدني أن أكون.

يدعو يسوع الأولاد الصغار إليه: "دعوهم يأتون إليّ... فإنّ لمثل هؤلاء ملكوت الله". ويأخذ طفلاً فيقيمه بقربه: "من لا يقبل ملكوت الله مثل طفل لا يدخله".

ليس على تلميذ المسيح البالغ أن يتجرّد من الصفات الإنسانية التي لا يمتلكها الولد، بعدُ، إنما عليه أن يتخلّص من عيوب البالغ، ويتقلّد كل صفات الطفل الإيجابية.

إن صعود النفس إلى الله هو، في نظر المسيح، هبوط يكمن خاصةً في التصاغر. "إن الأصغر فيكم جميعاً هو الأعظم". إن في كنيسة طفل بيت لحم، في كنيسة الحمل، تراتبيّة غير مرئية للتواضع.

إن يسوع يفضّل الوسائل الهزيلة، المتواضعة، التي يملكها الطفل ذاته. فقد كان قادراً أن يُسقط المنّ من السماء، لكنه يطعم الجموع في الصحراء من خمسة أرغفة شعير وسمكتين صغيرتين كانت مع فتىً هناك. إنما يتعيّن، في كلّ حال، أن يؤتى بهذه الأرغفة وهذا السمك إلى يسوع، ليباركها ويرفع الشكر، ثم يوزّعها، بيده، على التلاميذ. فالوسائل الفقيرة، كمؤونة الفتى القليلة، تصبح فعّالة إذا باركها يسوع.

في كلامه، بعد العشاء السرّي، ينادي يسوع تلاميذه: "يا أولادي الصغار". فهو لا يقول فقط "يا أولادي" بل "يا أولادي الصغار". وهذه العبارة تتضمّن، في آن واحد، فكرة القرابة، وفكرة الحنان العميق، وكذلك فكرة الاهتمام الخاص بأشخاص لم يبلغوا النضوج بعدُ.

يا ربّ، يا مَن دعا تلاميذه "يا أولادي الصغار"، أنا أفتقر إلى القوة وإلى الكمال اللذين لسن رشدك، أنت الإبن. فدعني أبقى، أو بالأحرى، أصبح ولداً صغيراً بين يديك! دعني أنقلد

بك! فإنّ خطيئة الإنسان الأول تعود إلى أنه لم يشأ أن يقوده، يداً بيد، الآب الذي في السموات. عندي ضعف الطفولة فامنحني طاعة الطفل الصغير وثقته المطلقة.

كل ما هو صغير يصبح عظيماً عند من يتبع "طريق الحمل الضيّقة"، طريق الطفولة التي افتتحت، لأول مرة، في بيت لحم.

إن الحمل رمز الوداعة والبراءة والطهارة. يقول يسوع لبطرس: "إن لم أغسلك فلن يكون لك نصيب معي". وأنا لن أحصل على نصيب مع يسوع إلاّ إذا كنت طاهراً، وهو وحده قادر أن يجعلني نقياً.

الأب ليف جيليه